المحاضرة الأولى: الأدب الشعبي: المفهوم والمصطلح.

تمهيد:

قد يكون من الصعوبة بمكان تناول الأدب الشعبي بالنظرة السهلة والتمحيص الهين على مستوى الدراسة الميدانية، نظرا لكونه يشكل ترابطا خيطيا من المعارف الجماعية التي تراكمت عبر أزمنة ممعنة في القدم، ولأنه يجسد هوية ثقافة جمعية عتيدة، احتواها وعاء اللهجات واللغات العامية التي يستصغرها بعض الكتّاب والباحثين. ما يكسب الأدب الشعبي أهميته القصوى من كونه يعتبر جانبا من أهم جوانب الثقافة الإنسانية، متعددة المشارب وتنوع الأفكار واختلاف الرؤى والتصورات، ولعل هذا الاختلاف والتباين يكون من أسباب التزام الباحث بالدقة سواء في التعامل مع المادة موضوع البحث أو مع المنهج الذي يعتمده لبلوغ هذه الغاية، وتبدأ الدقة منذ المرحلة الأولى التي تُجمع فيها المادة، إلى أن تصل إلى مرحلة التدوين والدراسة وتفكيك الرموز والشفرات الشعبية، باعتبار الأدب الشعبي، أدب رموز وشفرات في مختلف أجناسه، ومن هذه الالتزامات: دقة البحث والتحري العلمي الجدير بهذا النوع من التفكير الإنساني، الذي تتراكم فيه المعارف كتراكم الصخور الجيولوجية، وذلك لتلافي الوقوع في بعض المشاكل التي قد لا تخدم البحث العلمي والنص موضوع البحث بشيء، فالمجال بحر شاسع، ودغل شائك، سواء كان ذلك على مستوى الجمع والتدوين أو على مستوى الدراسة التحليلية للمادة، والتي تستهدف الكشف عن دلالات ورموز تراكيب عناصره، التي لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستهانة بها.

ولعل عدم الالتزام بالدقة والتروي والحذر يؤدي حتما إلى تعسف الباحث على المبحوث فيه، خصوصا وأننا نكون بصدد أدب يعتمد على الرواية الشفهية واللغة العامية، التي تختلف من منطقة إلى أخرى، رغم أن هذا الأدب في أهم مظاهره يبين بشكل واضح وحدة التفكير الإنساني وإن اختلف الزمان والمكان والظروف والملابسات، التي ساهمت بشكل أو بآخر في إنتاج هذا النوع من التفكير الإنساني.

ولتلافي كل ما ذكر يكون الباحث في الأدب الشعبي، ودارس عناصره ملزما بأن يحيط بماهيته ولو كانت إحاطة نسبية بحدوده، هذا حتى نتمكن من التمييز بين ما هو فردي من حق صاحبه أن يوآخذنا عليه، وما و نتاج جماعي انصهرت في بوتقته عبقريات فردية، وذابت في وجدان الجماعة بأسرها، وبين ما هو ملك خاص وما هو ملك جمعي، فيحافظ على أحقية الملكية لكل فرد أو جماعة، ويمنح حرية تمثله كثقافة، وحرية الإبداع على شاكلته.

1ـ إشكالية تحديد مفهوم مصطلح "الأدب الشعبي":

ولعل تحديد إشكالية مفهوم هذا الأدب يأتي من كونه نتيجة ضرورية لمعرفة في أي المجالات سنتحرك وإلى أي نمط من أنماط التفكير الإنساني ينتمي موضوع المقياس الذي ندرسه، وذلك تجنبا لالتباس المفاهيم، وبالتالي تحقيق النجاح في موضعة موضوعه في إطاره العام، والواقع أن الأدب الشعبي، ومنذ بداية الاهتمام بدراسته جمعا وتدوينا وتحليلا وتفكيكا يطرح عدة صعوبات تتعلق أساسا بتحديد مفهومه، سواء كان المختلفون في

هذا الصدد متعصبون له، أو كانوا ضده، ولقد أوجد هذا الاختلاف في تحديد المفهوم الاختلاف في التفاسير والتحليلات تبعا لتعدد الآراء والتصورات، ويمكن حصر هذه الآراء ضمن ثلاث فرق، هي:

أ ـ الفريق الأول: في فهناك من نهج في تحديده لمفهوم الأدب الشعبي نهج النقاد المتأثرين بالفلكلوريين فذهبوا إلى أن الأدب الشعبي لأية أمة من الأمم هو أدب عامياتها التقليدي، الذي تتوفر فيه شروط مجهولية المؤلف، أو إقصاؤه وصدوره عن الجماعة بطرق شفاهية، كما يتوفر فيه عنصر التوارث جيلا بعد جيل[1] باعتباره وعاء حضارة وقيم إنسانية.

ب ـ الفريق الثاني: فإنه يذهب إلى القول بأن الأدب الشعبي سواء توفرت فيه شروط التوارث ومجهولية المؤلف، شفهيا كان أو مكتوبا، هو أدب العامية، معتمدين في ذلك على فيصل التجربة الفنية، واعتبار اللغة ميزانا للتمييز ، وهذا رأي اللغويين[2].

جـ ـ الفريق الثالث: فقد أخذ بمحتوى الأدب الشعبي، مسقطا من حسابه اللغة التي يوظفها الإنسان الشعبي وهو في نظرهم أدب معبر عن ذاتية الشعب، وتطلعاته وآفاقه، سواء توفرت فيه شروط الفريقين أو انعدمت، وهو في نظر هذا الفريق يلتقي بأدب الفكرة وبالتالي يلتقي بالأدب الرسمي[3]، أما الأستاذ [أحمد رشدي صالح] فيذهب في ذلك مذهبا يرى فيه أن الأدب الشعبي هو ((ذلك الأدب المعبر عن ذاتية الشعب المستهدف تقدمه الحضاري، الراسم لمصالحه، يستوي فيه أدب الفصحى وأدب العامية، وأدب الرواية الشفهية وأدب المطبعة، والأثر المجهول المؤلف والأثر المعروف المؤلف))[4].

والصعوبة في تحديد مفهوم الأدب الشعبي تتمثل في تداخله مع سائر الفنون التراثية الأخرى بما فيها الفنون التشكيلية والنحت والموسيقى والطقوس والشعائر والممارسات الشعبية الأخرى، وإن كنا نميزه عن غيره من هذه العناصر المكونة للقوام الثقافي والحضاري للإنسان في كل مراحله الحياتية، لكونه متوسل بالكلمة ومسلوك فيه مسلك اللغة الرمزية، التي لا تفيد الإخبار فحسب كاللغة المباشرة، بل تفيد التعبير عن مواقف إنسانية، من حلقات الصراع على جميع المستويات، وتفاعل بنياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما تعبر عن سلوكه في المجتمع ،وعن علاقته مع بني جنسه أو مع الطبيعة والكون.

2ـ خصائص الأدب الشعبي:

ولا أرى أن من الصواب الاقتصار على هذه التحديدات التي تبدو ليست ذات أهمية، مقارنة بشساعة الموضوع وأهميته، ويمكن أيضا تحديد مفهومه من خلال بعض مميزاته ومقوماته التي تساعد على محو هذا الضباب، الذي يغطي حقيقة الأدب الشعبي، ويمكن تلخيص هذه المقومات على لسان [هويتمان] في قولته الرائعة والتي

---

[1]ـ ينظر: أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، دار المعرفة، مصر، د ت، ص10. وسعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 9.

[2]ـ المرجع نفسه، ص10.

[3]ـ المرجع نفسه، ص10.

[4]ـ المرجع نفسه، ص14، 15.

أراها ذات أهمية قصوى في هذا الباب يقول :((الأدب الشعبي ينبعث من أعمال أجيال عديدة من البشرية، من ضرورات حياتها، من أفراحها وأحزانها، أما أساسه فقريب من الأرض التي تشقها الفؤوس، وأما شكله النهائي، فمن صنع الجماهير المغمورة، والمجهولة أولئك الذين يعيشون لصق الواقع))[1]، فهو أدب عريق، مثقف، واقعي، مجهول المؤلف، صادر عن ضمير جمعي، وربما في اعتقادي أن هذه النقط يمكن أن تنير الطريق أمام أي باحث في مجال هذا الأدب وتخفف من وطأة إشكالياته المطروحة دوما وأبدا.

أـ العراقة:

فالأدب الشعبي عريق، ضارب بجذوره في عمق التاريخ البشري، شأنه في ذلك شأن الفنون التراثية الأخرى، نظرا لكونه ـ من خلال تضميناته ـ يمكن الكشف عن أسرار حياة المجتمعات القديمة، وعن كيفية التغيرات والتطورات التي اعترت الفكر البشري، خصوصا وأنه كان يُساير بعض أنماط هذا التفكير البشري كالسحر والأساطير وإن لم يكن قد انفصل عن باقي الفنون الشعبية الأخرى.

ب ـ المحافظة والعراقة:

هذا يجرنا إلى القول بمحافظة الأدب الشعبي من حيث الشكل، والقدم من حيث المحتوى، لأنه لا زال يحفل بتلك الأساطير والخوارق، التي تعبر عن التفكير البشري في مرحلة طفولته، وبالتالي ننفي عنه الواقعية، والتعبير عن حاجيات الإنسان الحياتية، فالأدب الشعبي يخى منحى مزدوجا، فهو تقليدي من جهة ومرن من جهة أخرى، لأنه قابل للإضافة والحذف، وذلك لأنه صادر بطبيعة الحال عن الإنسان، والإنسان ميال إلى الالتصاق بحياته وبواقعه تبعا لتفاعل بنياته الفكرية مع سائر بنيات مجتمعه، التحتية والفوقية، على السواء في حدود الواقع، ونظرا لكون هذا الأدب هو القالب الذي يشحن بتلك المعارف وكل تلك المخزونات الإنسانية من مواقف وتصورات، تشكل القاعدة المثلى التي تستقر في نفس هذا الإنسان، ليسير على هديها في حياته، فإنه إلى جانب الحفاظ على الموروث يحافظ أيضا على مسايرة ركب الحضارة التي تنتسب إليها الجماعات الإنسانية.

هذه المرونة هي التي تجعل الإنسان الشعبي يتبنى الماضي الثقافي لأجيال سابقة ويتمثله كثقافة، ويضيف إليه كلما استدعت ضرورات الحياة ذلك، إذ تجعله يسقط من حسابه كل تلك العناصر التي لا تنسجم وظروفه الحياتية، رغم الاحتفاظ بالملامح التقليدية الموروثة، والتي يضيف إليها استجابة للوجدان الجمعي كلما اضطرته الظروف إلى ذلك[2]. ولتلبية كل احتياجاته النفسية التي يحسها، لاستمداد قدراته وخبراته من إطاره الاجتماعي، لأن الأدب الشعبي يشكل ركنا من أركان ثقافته، فإنه ميال إلى الارتباط بالواقع، والتعبير عنه من خلال مخزونه الثقافي مع مراعاة الاحتفاء بالإبداع الجماعي المستمر، وهذا لا يعني انسلاخه عن الماضي كلية، لأنه حي ماثل فيه، ويشكل لبنة من لبناته الفكرية، التي لا يمكن تجزئتها عن كيانه اللاشعوري، فهو رغم أنفه حاضر في وعيه ولاوعيه، فالماضي والحاضر متلازمان في الإنسان تلازما لا انفصام فيه، لكونه يحمل ثقافة بوسائل معرفية معينة،

---

[1]ـ المرجع السابق، ص10.

[2]ـ عبد الحميد يونس، دفاع عن الفلكلور، الهيئة المصرية للكتابة، مصر، 1974، ص149.

كالمحاكاة والتلقين والتجربة[1]، وإن كان الأدب الشعبي يصدر -كسائر الفنون - عن مصالح الجماعة، فإنه يعرف نتاج الأقدمين المتضمن لخبراتهم، ورغم كونه أدب عوام فإنه أدب مثقف[2]، فهو إذن مزدوج الفعالية، يرتبط بواقع الإنسان وبحياته الراهنة، ويساير ركب التطورات الحضارية، ويحافظ على عراقته المتمثلة بالأساس في تلك التضمينات الأسطورية والخارقة التي يرجع تاريخها إلى طفولة البشرية، سواء كانت تضمينات أسطورية، خرافية، أو واقعية، فإنها تفرض نفسها على الجماعة، مصاحبة الأدب لأنها تعبر في رأيها عن مادتها لا عن شيء آخر ، وإنها الحقيقة وليست الرمز والمجاز لأن ذلك فقط من صنع الدارسين للثقافة الشعبية، أيضا لأنها خارجة عن حدود الزمان والمكان، فالتصورات الخرافية كما يرى أحد الدارسين ليست مختلفة، ولا هي متقبلة عن إرادة أو اختيار، ولما كانت نتيجة عملية مستقلة عن الفكر والإرادة فهي في وعي أصحابها ذات حقيقة لا راد لها، ولا تقبل المناقشة، فالشعوب والأفراد إنما هم أدوات مسخرة لهذه العملية التي تتخطى أفقهم، والتي هم خدم لها من غير أن يفقهوا[3]، وهي في هذا الخروج تخرج عن حدود الإقليمية ، إذ لا يمكن القطع في أصول هذه التضمينة أو تلك، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن هذه التضمينات الأسطورية أو الخرافية، التي تطبع - إن صح التعبير -الأدب الشعبي بالعراقة مرجعها إلى تعبيرها عن مواقف إنسانية سواء من الطبيعة أو الكون.

ج ـ جماعية الإبداع:

وفي هذا المقام تجدر الإشارة أيضا إلى مجموعة من الأسئلة حول المبدع والمتلقي في الأدب الشعبي، فإذا كان هذا الأدب نتاجا فكريا معبرا عن مواقف الإنسان الشعبي، وتطلعاته، وأحلامه وسلوكه، فهل يصح نسبته إلى عبقري معين؟ وهل الشاعر "الراوي" هو المبدع؟ وإن كان لا، فهل نزل من الفراغ والعدم؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات بإمكانها إقناعنا بأن الأدب الشعبي نتاج فردي بالضرورة، ولكن عبقرية الفرد انصهرت في بوتقة عبقرية الجماعة، لتحقيق كيان اجتماعي معين لكون الناس غلب عليهم الاهتمام بالقول فأغمر القائل، و بالتالي اعتبر ناتجا وصادرا عن الجماعة، لأن الفرد ليس من حقه إلا شرف الانصهار في كيان الجماعة، وهذه سمة من أهم سمات الأدب الشعبي، التي تميزه لأنه أدخل في الجهد الجماعي عوض الجهد الفردي فانعدم فيه ظهور الشخصية الفردية ، ورغم ذلك فإن هذه الميزة لا تمنحه تحقيق الحياة بالتعبير ، كما أنها لا تخرجه من دائرة الفنون، فالشخصية الجماعية تقابل الفرد من حيث النضج، واكتمال الشخصية نفسيا ووجدانيا[4].

فالأدب الشعبي يتسم بالجماعية، ليس فقط لأنه نتاج جماعة معينة في عصر بعينه، بل لأنه يشكل تراكما على مر العصور، خصوصا إذا سلمنا بأن التعاقب المرحلي في التراث الشعبي لا يشكل انتقالا كاملا، لأن التدخلات المرحلية تكون بمثابة سلسلة تراكمية، هذه السلسلة المترابطة تعبر عن حلقات الوعي الشعبي

---

[1]ـ عبد الحميد يونس، التراث الشعبي، دار المعارف، سلسلة كتابك، عدد 91، دت، ص17.

[2]ـ عبد الحميد يونس، دفاع عن الفلكلور، ص 151.

[3]ـ محمد عبد الرحمان مرحبا، قبل أن يتفلسف الإنسان، موسوعة الثقافة الفلسفية، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1958، ص17.

[4]ـ نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974، ص136.

المفقود[1]، ولأن هذا النتاج، وجد بصورة جمعية، لا بالصدفة لأن وراءه تختفي عبقريات فردية مادام بالإمكان نسبة أي نص تتبناه الجماعة إلى أديبها الشعبي، وإن كان معروف المؤلف، ولكن على مر الزمن يغمر صاحب النص، ويهتم بإبداعه، وذلك لأن هذا النص تنبني عليه تراكمات تجعله يتسم بالجدة، لأنه يتعرض للإضافة والتغيير، تبعا لضرورات الحياة الشعبية.

د- الشفاهية:

أما بالنسبة لطريقة تردد الأدب الشعبي بين الجماعات فإنه بحكم أحقية الملكية الفردية، فإنه يتردد بالرواية الشفهية وفي المجالس وليالي السمر، وفي كل خطوة يخطوها الإنسان الشعبي في حياته، فهو ينتقل بهذه الطريقة، وبحكم الفطرة سيظل مترددا بين الجماعات معتمدا على الرواية الشفوية[2]. وتبعا لهذا نرى أن الرواية ليست مقصورة على أشخاص معينين، كما هو الشأن لبعض المجتمعات التي يحتكر فيها أشخاص بعينهم رواية القص الشعبي، وأنه في حالة روايتها من طرف آخر يعتبر ذلك خرقا لممنوع، لأنها تبقى مضمونة لخلف هؤلاء بحق التوارث[3]، ولعل هذه الحرية في الرواية هي التي تضمن للأدب الشعبي الاستمرارية، والدوام، والانتشار في سائر الأقطار، والبقاع وهذا ناتج عن هجرة الرواة وعن عامل التأثير والتأثر ، المتبادل بين الشعوب. وقد يمكن أن نلمس ذلك بكل وضوح في التشابه والتجانس القائم في الآداب الشعبية بين مختلف الأمم، فالأدب الشعبي يفرض نفسه على الإنسان الشعبي ، وبالتالي يفرض روايته عليه فرضا لأنه لا يمكن فصله عن البنية الثقافية الشعبية، فهو دستوره، وإبداعه ،ومقنن قواعده و قيمه العليا ، ومخزونه الثقافي ، وهذه الأهمية تفرض الرواية، فيرويه تبعا لتصرفاته، سلوكاته مع غيره، وعلاقته مع الطبيعة والكون، وفي إطاره الاجتماعي العام.

3 ـ أهمية دراسة الأدب الشعبي:

تكمن أهمية دراسة الأدب الشعبي، في توطيد العلاقة بين ماضي الشعب وحاضره، وربط هذا الحاضر بتطلعات الشعب المستقبلية، ومن هنا تتعاظم أهمية مؤسسات البحث في التراث، وتشتد الحاجة إليها في الوطن العربي، ولا سيما أن القائم منها سطحي بسيط، بل ربما أدّى إلى نتيجة عكسية تظهر فطرية التراث، أو قدّمته بشكل مهلهل سخيف، يتضاحك حوله مثقفو الأمة.

إن دراسة التراث ـ والأدب الشعبي جزء منه أساس ـ لا تكون بجمعه وتدوينه فقط، وإنما الجمع والتدوين يمثلان النقطة الأولى لمسار البحث، إذ لا بد من دراسة تراثنا وتحليله، كي تتم دراسة المجتمع من خلاله، ولكي يتمكّن الشعب من إدراكه، وتذوقه والحفاظ عليه نتيجة لذلك.

من هنا تتأتى مسؤولية الشعب، والباحثين في مجال الأدب بشكل عام، والشعبي منه بشكل خاص، في دراسة هذا الأدب بشكل جدي، ووضعه تحت مجهر النقد التحليلي، لمعرفة امتدادات هذه الأمة، المادية، والمعنوية، والقيم، والمفاهيم، والاتجاهات، التي كانت أساساً لثقافتها، فنحن نمارس كثيراً من فنون تراثنا

---

[1]- عبد الحميد يونس، التراث الشعبي، ص7.

[2]- عبد الحميد يونس، دفاع عن الفلكلور، ص149.

[3]- فريديريك فون ديرلاين، الحكاية الخرافية، تر: نبيلة ابراهيم، دار القلم، بيروت، دت، ص 144.

وأنشطته بشكل تلقائي، فطري يومي، مثل الغناء، والرقص، واستخدام المثل الشعبي.. إن هذه الممارسة تتعمق إذا أدركنا كنه هذه الفروع والأنشطة، وربطناها بماضي الأمة وحاضرها.

ورغم هذا العرض لإشكالية التعريف بالأدب الشعبي وببعض سماته وخصائصه وأهمية دراسته، فإن القول في هذا الباب بهذه الطريقة الموجزة، لا يمكن أن يعطي الأدب الشعبي حقه المنوط به من الدراسة، لأنه تجسيد لهويات متداخلة، يستحيل الفصل بينها لأن الماضي يحيا فينا كما نحيا في المستقبل، والتكوين الإنساني ثقافيا يتم من خلال تداخل الأزمنة، تداخل الماضي في الحاضر والحاضر في المستقبل.

المحاضرة الثانية: الأدب الشعبي والفولكلور.

تمهيد:

لم تكن كلمة (فلكلور) موجودة قبل عام 1846م، ومر زمن بعد ذلك قبل أن تصبح متداولة في الدراسات البريطانية، واحتاجت زمناً أطول حتى تشيع على ألسنة بعض الدارسين في دول أخرى، وقد سبقتها وعايشتها مصطلحات كثيرة، سنشير إلى أهمها في قسم لاحق.

وسنعرض موجزا تاريخيا لنشأة هذا العلم، وتطور أفكاره، وأساليبه، ومناهج جمعه ودراسته، وأشهر الباحثين المؤسسين[1]، الذين كانوا مؤثرين على سير النشاط التراثي في بلادهم وغيرها من البلدان، لما في هذا العرض من دروس وعبر.

أولا: أنشطة التراث الشعبي في ألمانيا:

1ـ «جرمانيا» يلهب حماسة الألمان:

ظل مخطوط كتاب «جرمانيا» لمؤلفه المؤرخ الروماني القديم (تاسيوس) مهملاً دهراً، وحين نفض الغبار عنه، وطبع في القرن الخامس عشر في ألمانيا، لقي اهتماماً واسعاً، وأعيد طبعه مراراً، فقد وجه تاسيوس - في زمانه - نقداً لاذعاً للرومان الذين أفسدتهم الرفاهية، وكادت تدمر كيانهم، وفضل عليهم الجرمان الذين كانوا أكثر بساطة، وتحدث عن عاداتهم وتقاليدهم، وتاريخهم، وأشاد بفضيلة الحياة الشعبية البسيطة التي لم يفسدها الترف، كما تحدث عن أجناس البشر.

وتكمن أهمية الكتاب في أنه وجه اهتمام الألمان إلى أهمية التراث الشعبي، وعلاقة هذا التراث بالتاريخ القديم، وأجناس البشر، فأصبحت هذه التوجيهات تحكم مسيرة الدراسات الألمانية اللاحقة، التي خاضت في مختلف مجالات التراث الشعبي، وأثَّرت بدورها في الدراسات الأوربية في مختلف بلدانها.

2ـ أوروبا تتلمس ذاتها:

سرعان ما عم الاهتمام بالتراث الشعبي أوروبا كلها، وانبرى كثيرون إلى جمع الأغاني، والحكايات، والأمثال، والمعارف الشعبية، ودراسة العادات والمعتقدات الشعبية التي كان كثير منها على صلة غير منقطعة بأفكار أسطورية سابقة على المسيحية، لقد تحول الأمر من اهتمام فردي إلى اهتمام شعبي واسع النطاق، يرى في التراث الشعبي صورة شخصيته الحقيقية غير المزيفة.

ولذلك راح كل شعب يتلمس - عبر تراثه - سيرته التاريخية، ويحاول معرفة ما كان عليه أسلافه القدامى في العصور السابقة على المسيحية، من أساليب عيش، وعادات، ومعتقدات، وطقوس وثنية، وما أبدعوا من فنون، وملابس، وآداب، وما بنوا من بيوت، ومن أي مواد، وما صنعوا من أدوات، وغيرها من مواد.

وقد شُغل كثيرٌ من الدارسين بمعرفة أساليب العيش القديمة، والقوانين التي كانت تضبط العلاقات الاجتماعية، وسلوك الأفراد، وطرق تطبيقها، واللغات التي كان يتحدثها الناس، وكيفية تطورها، وماهية العقائد

---

[1] - ينظر: محمود مفلح البكر، البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2009، ص 16ـ 27.

الدينية، والشعائر المرتبطة بها، ومدى تسرب هذا القديم إلى التراث الشعبي، وقد استمر هذا النشاط خلال القرن السادس عشر، وازداد اتساعاً في القرن السابع عشر، حيث بدأت الجامعات تولي الأمر أهمية، وتشارك في عملية جمع المواد الشعبية المتنوعة، وتصنيفها، وتوفير المادة المتحفية التي سيتعزز دورها في المراحل اللاحقة، وتتيح مجالاً لتطوير الدراسات.

وبذلك اندفعت أوروبا بقوة إلى مرحلة جديدة، تعيد فيها اكتشاف الذات، عبر سبر تاريخها، وتراثها المكتوب والشفوي، وتدوين كل صغيرة وكبيرة، وجمع كل ما تطاله اليد من تراث مادي، ومنتج حرفي، ولعبت التيارات الفكرية والفلسفية من كلاسيكية، ورومانسية، وواقعية، وواقعية اشتراكية دورها في دفع النشاط الثقافي، والعلمي، والسياسي قدماً إلى الأمام.

وبرز في القرنين الثامن عشر والتاسع مفكرون وفلاسفة وأدباء وساسة، كان لهم تأثيرهم الفاعل في مجرى الأحداث، وتطور الفكر، وتغير المفاهيم، التي أعادت الاعتبار إلى فئات الشعب المختلفة، بما فيها الطبقات الدنيا، من أمثال (جان جاك روسو - 1712-1778) صاحب كتاب «العقد الاجتماعي» الذي ألفه في سنة (1762) وأكد فيه (أن الشعب مصدر السلطات..) و(مونتسكيو 1689-1755) صاحب كتاب «روح القانون»، و(فولتير 1694-1778) الذي اشتهر بنقده اللاذع لعلية القوم.

وجاءت الواقعية الاشتراكية لتولي فئات الشعب المهملة والفقيرة اهتمامها، وتبحث في التراث الشعبي، برؤية جديدة.

ولعل الثورة الفرنسية (1789-1815) واحدة من أبرز نتائج التيارات الفكرية الجديدة، التي رافقها تطور في المناهج والتقنيات، التي فتحت الباب على مصراعيه لانطلاقة الثورة الصناعية التي بدأت في بريطانيا منذ عام (1780)، وتبعتها أمريكا منذ عام (1810)، ثم فرنسا منذ عام (1820)، ثم بلجيكا (1830)، ثم روسيا (1850)، ثم إيطاليا وألمانيا (1870).

وأدت الثورة الصناعية، ونتائجها الاجتماعية إلى تعاظم الاهتمام بالتراث الشعبي، بما فيه من مرويات شفوية، وعادات، ومعتقدات، ومقتنيات تراثية شعبية، ومشغولات حرفية.. خوفاً عليه من التلاشي مع ضجيج الآلات المتزايد. أضف إلى ما في الاهتمام بالتراث الشعبي من ردود فعل على ما أحدثته الثورة الصناعية من تغيرات اقتصادية واجتماعية غير مسبوقة، فتركز الاهتمام على المجتمعات وتراثها، وظهرت علوم جديدة تطورت بسرعة مثل علم الإنسان، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ.. وعلم اللغات، والأديان.. وغيرها. كما برز عدد من التراثيين الأفذاذ الذين كانوا معلمين حقاً، وتركوا بصمتهم على تطور الدراسات، وتبعهم في نهجهم آخرون داخل بلادهم وخارجها، كالأخوين (غريم) في ألمانيا الذين كانا حالة فريدة في العالم.

3ـ الأخوان (غريم):

ولد (جاكوب غريم) عام 1785، وولد أخوه (فلهلم) بعده بعام - 1786، في مدينة صغيرة فيها أبنية أثرية، وقد نشأا نشأة جادة، في أسرة كبيرة نسبياً مؤلفة من ستة أولاد مع الأبوين، وقد توفي الأب الذي كان كاهناً بروتستنتياً، قبل أن يكمل أكبر أولاده (جاكوب) تعليمه.

ودخل (جاكوب) الجامعة لدراسة القانون - مثل أبيه - وتوطدت علاقته بأستاذه الفذ صاحب المدرسة التاريخية في القانون (فريدرش كارل فون سافيني) وساعده في كتابه عن تاريخ القانون الروماني. وشغف في تلك الفترة بقراءة الأدب الألماني القديم، وفقه اللغات الجرمانية.

لا ننسى أن الأخوين كانا يتعاونان معاً في هذه الأعمال كلها، ويتشاوران في كل صغيرة وكبيرة.

أما أعمالهما المشتركة فهي:

1- حكايات الأولاد والبيوت (1812-1857) وقام (فلهلم) بالعمل الأكبر في تدوينها عام 1819، بينما تولى (جاكوب) إعادة صياغتها كما سنشير.

2- القاموس الألماني (1852-1863).

وقد مات (فلهلم) عام 1859 تاركاً لأخيه الأكبر جاكوب إتمام المهمة، لكن الآخر توفي عام 1863، وكان عضواً في برلمان فرانكفورت، وقد تابع علماء لاحقون العمل على إنجاز بقية أجزاء القاموس الذي بلغ اثنين وثلاثين جزءاً طبع آخرها عام 1960.

وقد أصبحت أعمال الأخوين في فقه اللغة الألمانية والتراث الشعبي مراجع لا غنى عنها حتى يومنا هذا.

4ـ حكايات الأخوين (غريم):

كان عمر (جاكوب) 21 سنة، وعمر (فلهلم) 20 سنة، عندما شرعا عام 1806 بجمع الحكايات الشعبية، بحماسة كبيرة، وكانت منطقة (هسن)، التي ولدا فيها، وتشبعا بتراثها، أولى المناطق في حملتهما، فراحا يدونان الحكايات من أفواه الرواة، وتولى (جاكوب) تهذيب لغة الحكايات، وكتابتها بأسلوبه الأدبي الرشيق، دون أن يفقدها روحها الشعبية الأصيلة، وكانت نتيجة عملهما حوالي مئتي حكاية، لبعضها صلة واضحة بقصص (ألف ليلة وليلة) وهناك تأثر بمناخ حكايات (كليلة ودمنة).

ذاعت حكايات الأخوين (غريم) ذيوعاً لا مثيل له، وأعيدت طباعتها مرات ومرات، وترجمت إلى أغلب اللغات في العالم، وتبنى (جاكوب) في كتاباته الرأي القائل بأن أصل الحكايات جميعها هندي آري، وتبعه في آرائه باحثون من ألمانيا وفرنسا، وروسيا وبريطانيا وغيرها، وهو ما عرف بالمدرسة الأسطورية، التي ركزت اهتمامها على الحكايات، والمعتقدات، واللغات.. والبحث في جذورها التاريخية، وبذلك وضع (جاكوب غريم) خاصة، أسس دراسة التراث الشعبي دراسة علمية.

لكن آراء (جاكوب غريم) ذات النزعة الآرية، ومعه المدرسة الأسطورية ما لبثت أن تعرضت - مع تطور المعارف والعلوم - لنقد شديد، وانفض عنها كثير من أتباعها، ومنهم (فلهلم مانهاردت) الذي وجه لها النقد في كتابه (عبارات الغابة والحقل).

ومع ذلك يظل كل من (جاكوب) وأخوه (فلهلم) أباً للتراث الشعبي ودراساته في ألمانيا، ومُعَلِّماً لكثير من الدارسين، وتخليداً لهما أقيم في مدينة (كاسل) متحف يحمل اسميهما (متحف الأخوين غريم).

5ـ دور الصحافة:

أدت الصحافة الألمانية في القرن التاسع عشر، دوراً مهماً في توسيع دائرة الاهتمام بالتراث الشعبي ودراساته، وقضاياه المختلفة، فأفسحت المجال لمواضيعه على صفحاتها، وتوّج هذا الاهتمام بصدور صحيفة خاصة بالتراث الشعبي عام 1855، ومع أنها توقفت بعد أربع سنين، إلا أنها قامت بدورها في تطوير دراسة التراث الشعبي، وتعميق الأفكار، وتداول الآراء الجديدة، ولفت الانتباه إلى كثير من المواضيع التي تستحق البحث.

وما زال الألمان يواصلون نشاطاتهم، ويوسعون دائرة علمهم في جمع مواد التراث الشعبي من مختلف بلدان العالم، وكان للتراث الشعبي العربي نصيب وافر من نشاطات الألمان، وما زالت الحكاية الشعبية تحتل مكان الصدارة في اهتماماتهم التي شملت كل شيء، على يد أجيال متلاحقة من الباحثين والمهتمين، حتى اليوم.

ثانيا: أنشطة التراث الشعبي في الدول الاسكندنيافية:

لم تتأخر الشعوب الاسكندنيافية عن الألمان كثيراً، في اهتمامها بجمع التراث الشعبي ودراسته، وكان لكل منها دوافع وتوجهات مغايرة، كما أن تلك الشعوب لم تكن بأوضاع متشابهة، ففي حين كانت السويد دولة قائمة ذات أطماع، كان الفنلنديون يحلمون بالحرية، ويتلمسون معالم شخصيتهم الوطنية، في تراثهم الشعبي الذي كبروا به، وكبر بهم.

1ـ ملك السويد:

عام 1630 أوعز ملك السويد غوستاف الثاني بجمع التراث الشعبي، فبدأت حملة واسعة تتلقط المقتنيات التراثية الشعبية، والأدوات التقليدية، وتدوِّن المعلومات من العادات والتقاليد، وطبائع الناس وأساليب عيشهم، في مختلف طبقات الشعب، وبذلك توفَّرَ للسويد مادة متحفية غنية، متنوعة، وكثيرة، لا تقدر بثمن، وفي وقت مبكر.

وحين أنشئ المتحف الشمالي عام 1873، كان لدى السويد من المواد والأدوات التراثية الشعبية، ما يكفي لتغطية مراحل تاريخية مديدة لمئات السنين، من أواخر العصور الوسطى حتى تاريخ إنشائه - أي المتحف - وسرعان ما أصبح هذا المتحف مؤسسة ثقافية واسعة تقدم خدماتها للدارسين في مختلف مجالات التاريخ والتراث، في البلدان الاسكندنافية، شاملاً مجالات الحياة كلها من حرف شعبية، ومواد أولية، وصناعات تقليدية يدوية قديمة، وطب شعبي، وأزياء، وفنون شعبية، وآلات موسيقية، وأثاث وأنواع الأدوات المستخدمة في الحياة اليومية للناس، مرفقة بمعلومات وافية عنها وعن طرق صناعتها، وكيفية استخدامها.. إضافة إلى العادات والمعتقدات الشعبية، والأدب الشعبي.

وميزة هذا المتحف أنه دائم التطور باستمرار، فهناك مئات المهتمين ينتشرون في أنحاء السويد، على مدار السنة، والسنين المتوالية، يتلقطون مواد التراث الشعبي، ويرسلونها إلى المتحف مع المعلومات الوافية عنها، طيلة أيام العام، فيظل المتحف يتنامى يوماً بعد آخر، وسنة بعد سنة، ويقدر ما يضاف إلى رصيده من المقتنيات

التراثية الشعبية بعشرات الآلاف من المواد كل سنة، مما جعله من أكبر متاحف التراث الشعبي في العالم وأهمها، بما لديه من مقتنيات تراثية مصنفة، وأرشيف ضخم للأدب الشعبي، بأنواعه، من حكايات، وأغانٍ، وموسيقا، وألعاب.. وما يتعلق بهذا كله من معلومات توثيقية لا غنى عنها.

2ـ النشاط التراثي الفنلندي:

بدأ الفنلنديون نشاطهم بجمع التراث الشعبي قبل حصول بلادهم على استقلالها، ويمكن القول أن تراثهم ساهم في إبراز شخصيتهم، ومن أقدم الإصدارات مجموعة أغاني السحر أو التعاويذ عام 1675م، تلتها مجموعة من الأمثال الشعبية، التي صدرت عام 1702، لتتوالي الإصدارات بعد ذلك في مختلف مجالات التراث الشعبي.

أ ـ إلياس لونروت:

نذر الياس لونروت نفسه لجمع التراث الشعبي الفنلندي، فقد راح يجوب أنحاء البلاد، ويجمع نثار الأغاني الشعبية القديمة، وبالأخص الأغاني القصصية، ثم ألف منها ملحمة (الكاليغالا) التي طبعت أول مرة عام 1835م، فتلقاها الفنلنديون باهتمام كبير وأعيدت طباعتها، حتى أصبحت أشبه بنشيد وطني، لما لها من دور في شحن الروح الوطني، فصارت - وما زالت حتى اليوم - مادة للدراسات، والندوات، في الجامعات وغيرها من المنابر الثقافية؛ ولهذا يوصف (إلياس لونروت) بأنه أبو التراث الشعبي الفنلندي، وقد تطورت الدراسات بعده تطوراً كبيراً.

ب ـ أقدم جمعية تراث شعبي:

بحلول العام 1831م، أنشئت الجمعية الأدبية الفنلندية، التي كان التراث الشعبي أهم محاور عملها، فنشطت في جمع المقتنيات التراثية الشعبية، على مختلف أنواعها، وتوثيق اللهجات، والمعارف الشعبية، والأدب الشعبي. وقد مدت صلات تعاون مع مئات المهتمين والمتطوعين في أنحاء البلاد، الذين انتشروا في مناطق فنلندا وقراها ومدنها.. يتصيدون المواد التراثية بأنواعها ويوصلونها إلى الجمعية، مرفقة بالمعلومات التوثيقية التي دربوا عليها.

ج ـ المنهج الفنلندي:

كان (كارل كرون 1883-1933) من أبرز الباحثين الفنلنديين، وقد عمل على جمع الحكايات الشعبية، وتدوينها كما سمعها من أفواه الناس، دون إضافة أو تعديل - مختلفاً بذلك عن (جاكوب غريم) - وأصدر عام 1886 الجزء الأول من موسوعة الحكايات الشعبية عن (حكايات الحيوان) وأصدر الجزء الثاني عام 1893 الذي شاركته فيه (ليلي ليليوس)، وبذلك أرسى قواعد العمل الميداني العلمي، متقدماً على الأخوين (غريم) في ألمانيا الذين تدخلا في النص الشعبي إضافة وتعديلاً.

وعين (كارل كرون) أواخر القرن التاسع عشر أستاذاً للتراث الشعبي في جامعة هلسنكي، ليكون أول محاضر لهذا العلم في العالم، ولتكون هذه الجامعة أول جامعة في العالم تدرس هذا العلم رسمياً.

وإلى جانب (كارل كرون) كان معاصره (آنتي آرني 1876-1925) يكمل جهود زميله، فقدم للعالم كتابه (فهرس أنماط الحكايات الشعبية) الذي كتبه باللغة الفنلندية عام 1910، ثم أعيد نشره بالإنكليزية منقحاً على يد (ستيث تومسون)، فأصبح مرجعاً للباحثين في العالم كله.

د- المتاحف الفنلندية:

أنشئ في فنلندا متاحف عديدة هامة متخصصة بالتراث الشعبي بفروعه المختلفة، تحوي - إضافة للتراث الشعبي الفنلندي - كثيراً من تراث شعوب العالم، منها متحف خاص بالآلات الموسيقية الشعبية، فيه آلات موسيقية من جميع مناطق العالم. وفيه عازفون يجيدون العزف على كل آلة من هذه الآلات.

وهناك متحف خاص بالحياة القديمة في مدينة توركو - عاصمة فنلندا - يجسّد مظاهر الحياة الشعبية المتنوعة، التي كانت عليها هذه المدينة قبل أن يلتهمها الحريق عام 1827.

ولا مجال هنا لتعداد المتاحف الفنلندية، وذكر تخصصاتها، وطرق إدارتها، وأساليب تصنيفها وفهرستها، التي يقصدها الدارسون والزوار من أنحاء العالم.

ثالثا- النشاط التراثي البريطاني:

جاء اهتمام البريطانيون بالتراث الشعبي متأخراً عن غيرهم من الأوروبيين، وكان لصدور كتاب: (لندن 1665) دور مفيد في لفت الانتباه إلى أهمية التراث الشعبي، لما تضمنه الكتاب من معلومات عن مظاهر الحياة اليومية لمجتمع لندن إبّان تلك الفترة، فبدأ بعض المهتمين يحاولون جمع المقتنيات التراثية الشعبية، والأدب الشعبي.

1- الخطوات الجادة:

لكن الخطوات الجادة لم تبدأ في بريطانيا إلا أواسط القرن الثامن عشر، فترة ازدهار الرومانسية، وبتأثر واضح بالألمان، وبالأخوين (غريم) خاصة، فقد ظهرت في تلك الفترة أعمال الأسقف (توماس بيرس) الذي جمع الأغاني القصصية الإنكليزية الـ (بالاد Ballads) المبكرة وصدرت عام 1765.

كما ظهرت أعمال (وولتر سكوت) الذي تأثر عميقاً بالتيارات الفكرية الألمانية، وقد جمع كماً كبيراً من الأغاني القصصية، والأشعار الشعبية.

لكن يعاب على بيرس وسكوت - وكلاهما شاعر - أنهما كانا يقحمان نفسيهما في النصوص الشعبية، فيكملان ما نقص في النصوص الشعبية بأبيات من تأليفهما، فيختلط كلامهما بالمادة الشعبية المروية. ومع ذلك فلهما الفضل في حفظ عدد كبير من الأغاني التراثية القديمة التي كان يمكن أن يتلاشى الكثير منها، ويضيع بفعل عوامل الزمن والتطور المتسارع، التي تهدد المرويات الشفوية.

ب - التوجهات المنهجية:

إلا أن التوجهات العلمية المنهجية لم تبدأ في بريطانيا إلا في القرن التاسع عشر حين بلغ التوسع الاستعماري البريطاني ذروته، على أيدي عدد من الباحثين، متأثرين بنشاط الألمان وتوجهاتهم الفكرية، وبمناهج الفنلنديين خاصة، وأعمال الاسكندنافيين بعامة.

واستخدم (وليم جون تومز) مصطلح (فلكلور) بدلاً من مصطلح (الأثريات الشعبية) الذي شاع في الفترة السابقة، وقام صديقه (فرنسيس جمس تشايلد) بجمع الأغاني القصصية التي طبعت في خمس مجلدات بين عامي 1884-1889.

وكان من نتيجة الجهود المستمرة، والحاجة الملحة التي فرضتها مواد التراث الشعبي الغزيرة القادمة من المستعمرات، إضافة إلى الحاجة لدراسة التراث البريطاني، أن تشكلت عام 1878 (جمعية الفلكلور الإنكليزية) التي لعبت دوراً هاماً في تنشيط الدراسات في مختلف المجالات.

رابعا ـ ظهور مصطلح "فلكلور":

بعد أن توسعت عملية جمع مواد التراث الشعبي في أنحاء أوروبا، حتى شملت كل شيء، من الأدبي، والعقيدي، إلى المادي، وتوسعت الدراسات، وصارت على تماس مباشر مع علوم اللغات، والتاريخ والآثار، والأديان، والاجتماع.. بل متداخلة معها تداخلاً شبه لحموي، حتى أصبح متعذراً أحياناً كثيرة الفصل بين ما هو تراثي شعبي وبين ما هو تاريخي - مثلاً - أو لغوي، أو ديني رسمي.. الخ. خاصة أن دراسات التراث الشعبي ولدت من حضن علم الاجتماع وما زالت ملتبسة به حتى اليوم في كثير من الميادين، وما زالت كليات علم الاجتماع في كثير من البلدان ترعى دراسات التراث الشعبي ومنها (الدراسات الفلكلورية) التي تحولت إلى علم مستقل.

بعد هذا كله، ونتيجة له، أصبح وضع مصطلح يعيّن حدود هذا العلم، وميادين دراساته أمراً ضرورياً لا غنى عنه، وكان الألمان أول من اهتدى إلى مصطلح يساعد على تنظيم النشاط البحثي لهذا النوع من الدراسات تمييزاً لها عن سواها من دراسات في علوم مغايرة، كالتاريخ، أو الكهنوت الرسمي.. مثلاً، إنه مصطلح (فولكسكنده) وشاع في الدول الاسكندنافية مصطلحات محلية مقاربة في المضمون، ثم جاء بعده بأربعين عاماً مصطلح (فولكلور) وبين هذين هناك مصطلحات محلية مستخدمة في بلدانها، يراها علماء تلك البلدان أنسب لثقافتهم، ولا ضرورة لاستعراضها كلها.

1ـ الفولكسكندة Volkskunde:

ذكر مصطلح فولكسكندة في ألمانيا أول مرة، في مجموعة الأغاني الشعبية التي نشرها - في أعوام 1806-1808 - أخيم فون أرنيم، وكليمنس برنتانو بعنوان (بوق الصبي العجيب)، والصفة هنا (العجيب) للبوق لا للصبي.

لكن هذا المصطلح الألماني لم يأخذ بعده العلمي إلا في أواسط القرن - التاسع عشر - حين استخدمه (رايل) مؤسس الفولكسكندة العلمية الحديثة. وتعني كلمة (فولكسكندة): (دراسة الثقافة الشعبية الجرمانية) وبخاصة ثقافة الفلاحين وبسطاء الناس.

وقد اختلف الألمان أنفسهم في تعريف الفولكسكندة اختلافاً كبيراً، وهذه بعض التعريفات:

- الفولكسكندة: علم دراسة الثقافة الشعبية.
- الفولكسكندة: علم دراسة المأثورات الشعبية.
- الفولكسكندة: دراسة روح الشعب.
- الفولكسكندة: الدراسة العلمية للشعب الألماني، من حيث نوعيته الفكرية، الخاصة، كما صاغتها عوامل الأصل والبيئة والأساس الروحي الإنساني العام، والثقافة الاجتماعية في علاقتها مع الظروف التاريخية.
- الفولكسكندة: دراسة الإنسان.
- الفولكسكندة: دراسة الحياة الشعبية[2].

ويعبر كل تعريف عن نظرة صاحبه، أو أصحابه إلى ميدان هذا العلم، والمواضيع التي تدخل في مجال اختصاصه، ولم يحسم هذا الخلاف، وبقي هذا المصطلح بعامة محصوراً في ألمانيا، والمناطق الناطقة بالألمانية.

2ـ الفلكلـور Folklore:

ورد هذا المصطلح أول مرة في رسالة بعثها (وليم جون تومز) إلى صحيفة «The Athenaeum» سنة 1846، وهو مكوّن من كلمتين (Folk) بمعنى الشعب أو الناس، والمأخوذة من كلمة إنكليزية قديمة (Folk)، و(Lor) بمعنى معرفة، أو حكمة. فيكون معنى فلكلور (معرفة الناس) أو (حكمة الناس) أو (حكمة الشعب).

ويلاحظ أن مصطلح (فلكلور) الإنكليزي ليس إلا ترجمة تقريباً لمصطلح (فولكسكنده) الذي سبقه بأربعين عاماً، ومما يؤكد هذا إعجاب (تومز) بالباحثين الألمان، ودراساتهم، حتى تمنى أن تنجب بريطانيا (يعقوب غريم) إنكليزياً.

كان التوسع الاستعماري البريطاني، الذي بلغ ذروة اتساعه في العهد الفيكتوري - نسبة إلى الملكة فيكتوريا التي حكمت بين 1837-1901م - عاملاً هاماً في اهتمام البريطانيين بالمعارف الشعبية من عادات ومعتقدات، ولغات، ولهجات، وأدب شعبي، إلى جانب التاريخ، لفهم هذه الشعوب، وتوجيه سلوكها. ومع اتساع ميدان اللغة الإنكليزية، على حساب اللغات الأخرى، اتسع استخدام مصطلح (فلكلور) في أنحاء العالم، مع أنه فعلياً لم يحل الإشكال القائم منذ زمن في تحديد ميادين اهتمامه ودراساته، وهو ما أدى إلى خلافات كبيرة في تعريفه كما سنرى.

خامسا: أقسام التراث الشعبي:

لقد شغل العلماء والباحثون بتقسيم موروث الشعوب إلى أقسام محدودة العدد، ينقسم كل منها بدوره إلى أقسام فرعية، بهدف تسهيل التصنيف والدراسة، بعد أن شغلوا ردحاً من الزمن في تحديد ميادين هذه الدراسات، وتمييزها عن غيرها من الميادين كالتاريخ، والآثار، وعلوم الأديان الرسمية، واللغة، والاجتماع وغيرها..

ومن هذه التقسيمات ما وضعه الجوهري، عام 1969، وكان تقسيماً سداسياً[3]:

---

(1) ينظر: أحمد مرسي، مقدمة في الفولكلور ، دار الثقافة، القاهرة، ط2، 1981، ص 81-83. -فوزي العنتيل، الفلكلور ما هو؟ ، دار المسيرة، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1987م، ص 32-34.

1- العادات الشعبية.

2- المعتقدات الشعبية.

3- المعارف الشعبية.

4- الأدب الشعبي.

5- الفنون الشعبية.

6- الثقافة المادية.

لكن قبل مضي عام عَدَّل الجوهري تصنيفه هذا من السداسي إلى الرباعي دامجاً المعارف الشعبية مع المعتقدات، والفنون الشعبية مع الثقافة المادية، في محاولة لتقليص عدد الأقسام، دون إخلال بالموضوع، فكان التقسيم التالي:

1- المعتقدات والمعارف الشعبية.

2- العادات والتقاليد الشعبية.

3- الأدب الشعبي وفنون المحاكاة.

4- الفنون الشعبية والثقافة المادية.

وقد استلهم الجوهري في تصنيفه الأول، ثم المعدل، أفكارَ علماء الفلكلور وعلم الإنسان معاً، والتي بدأت منذ ذلك الحين تميل لصالح علم الإنسان، وعلم وصف الشعوب.

وكان الأستاذ الدكتور محمد فتحي عبد الهادي من أبرز المهتمين في التصنيف، الذي يشكل حقاً القاعدة العلمية لجمع مواد التراث الشعبي وتصنيفها، ودراستها.

وفي العام 2006 نشر الدكتور مصطفى جاد المجلد الأول من تصنيفه تحت اسم (مكنز الفولكلور) الذي جعله خماسياً كالتالي[4]:

1- المعتقدات والمعارف الشعبية.

2- العادات والتقاليد الشعبية.

3- الأدب الشعبي.

4- الفنون الشعبية.

5- الثقافة المادية.

وهو كما يلاحظ لا يختلف عن التصنيف الثاني عند الجوهري إلا بفصل الفنون الشعبية عن الثقافة المادية، وجعلها قسماً مستقلاً، وجعل الثقافة المادية قسماً مستقلاً آخر، وهذا موجود في تصنيف الجوهري الأول.

---

[3] ـ محمد الجوهري، علم الفولكلور، ج1، دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف، مصر، ط3، 1978، ص 65.

[4] ـ مصطفى جاد، مكنز الفولكلور ، دار المعارف، مصر، 2006، م1، ص 115-209.

سادساـ أهمية دراسة التراث الشعبي:

تكمن أهمية دراسة التراث الشعبي في:

أولاً: التوازن بين القيم المادية، والقيم الأخلاقية (الإنسانية): تتسم طبيعة العصر الذي نعيشه، بالمادية، والتقدم العلمي والتكنولوجي، في ظل فقر القيم الإنسانية، والروحية المعنوية... ولابد للمجتمع المتحضر إلا أن يسير في خطين متوازيين: خط يمثل القيم المادية، وخط آخر يمثل القيم الأخلاقية الإنسانية، ولرسم بياني بسيط يقارن بين الخطين في القرن العشرين، يرينا أن التقدم المادي قفز إلى أعلى الصفحة بينما الآخر يراوح نقطة الانطلاق، وهذا يعني خللاً واضحاً في أساسيات البنية الاجتماعية.

ثانياً: رواية جانب أو جوانب تاريخ الفكر البشري: إن دراسة التراث تعطينا فكرة أقرب للوضوح عن الفكر البشري، وتطوره عبر الأجيال، وتصور الدراسة كيفية تفاعل الإنسان مع بيئته، وصور هذا التفاعل عبر الزمان.. من خلال سمات الانتشار والتداول والتراكم التي يتسم بها التراث.

ثالثاً: إن التشابه التراثي بين أبناء الأمة الواحدة، لحري أن يضفي على القومية مفاهيم إضافية، لشد عراها، وتثبيت جذورها.